هلال بن زيتون

لماذا ؟

لماذا كلما الليل احتواني عادت الذكرى الى عينيّ
وجها آسرا كالموت يسطع في سمائي ؟
اشرق النجم الخفي وراح يفترس الظلام كأن اطراف
المدى فيه استحالت شعلة منها الى عيني
أستقام الدرب في جسدي
فمشيت مسحوراً يتعتعني الزمان وأستظل الوهم
حتى أنتشي
لم يبق من فيء النجوم سوى انفراج مذهل ينساب
حتى يقظة الحلم اخضرارا مثل ايام خلت فتألقت لما
تناءت كالمراكب تختفي أحزانها في رونق الانوار منها
هكذا دوما الى الذكرى يعود غدي
وما عادت
ولكن دورة بدأت عسير أن أفارقها
انفصلت
الهوة العظمى تجلت
كان بدئي المنتهى
هذا أنا العين التي كالسيف في نحري
سأقطع ساعدي ندما على اثمي واشرب من دمي
سئمًا لعلي بعد موت صرت مرجاا ولعل العشب ينمو
في ذراعي
قد سئمت العين والصحراء في رئتي فاني مثقل
بالقحط كالحبلى
أتثمر تينة جوفاء قد هرمت ؟
ولكني فراغا يانعا كالريح قد أثمرت

ـ هل قاسيت ؟
لا أبدا
وأدت النار في كبدي
أمتّ الرعشة الظمآى
بأعصابي اقتلعت الوهن من عينيّ
اني واحد حجر
أنا المسحوق في وهمي كثور هائج اعمى
انا العين التي تفنى
ولكني بها احيا
وأحيي كل ما يفنى
زرعت الورد في عدمي فكان الوهم
اين الحق ؟
في عيني ؟
وماذا أبتغي منها ؟
سأمحق مثل لا شيء ولن تقوى على زمن تصارعه
سئمت العين والصحراء في رئتي
اريد الدفء
لا زمن
ولا عين
ولا قدر
أريد الراحة الكبرى
فكلي طاقة للحب
ولا القى سوى يأسي

ولا القى سوى الذكرى
ودرب مورق في هدأة الليل الحزين اسيروحدي
فيه لما يسطع النجم الخفي فأستعيد البدء لما قيدتني
حين قالت

أنت حر في امتلاكي
كن اله السحر خذني
اينما وليت في عينيّ تبقى
فامرح الان
استبحني
كن طليقا أنت طفلي
لا تغادر واحتي فلئن فعلت ففي زماني سوف تبقى
لعنة الذكرى التي تحييك

هذي قدرتي
اني نهاية دربك المسحور
هل تقوى على سفر ستبقى فيه منفيا كفصن ذابل في
الريح ؟

لن تقوى
ستهوي دائما في الدرب قبل المنتهى
فالمنتهى سعي الى عدم تولد في خطاك وما بلغت
سوى سراب

مرتع العينين والذكرى
لماذا كلما حاولت نسيا أو هدوءا مزق الليل ارتياحي؟
لماذا كلما لامست وجها زال بالعين امحى ؟
لماذا كلما ناديتها فرت الى سكناي في وهمي ؟

وأظل محترقا أحدق
هذه امرأة وهذا ملتقى الفخذين
هذان نهداها
وهذا ثغرها أو نحرها أو خدها
هذي يدي
يتكثف الان المدى فيها
أنا جسد وهذا مثله جسد
تلاحمنا وكلّ واحد في وهمه يمضي
ـ ألا تنسى ؟
ـ أريدك مثلها

من أنت ؟
ـ اني واحة منذورة للحب
ـ ليت العين تهجرني
وفي سعيي اليها لا أرى في صدفة الجسدين الا
ظلمة الوجه الذي جاهدت كي امحوه حتى أستعيد
الوجه منها آسرا كالموت

لكن
بيننا عدم مريع قد تناهى
فاستفاق اليأس في الرؤيا
وكانت مثل طيف سارح كالفجر يقطر بالندى فضممتها
بتلوع

تابعت درب العين حتى النجم واستلقيت
هذي غفوتي
هلا تدوم
ولن تدوم
أغيب في صحوي وصمت الليل يرجعني الى صمتي
لماذا الليل لا يمتد حتى منتهى زمني لابقى فيه في
سفري الى الذكرى ؟
ارى في ذلك الفسق الذبيح على امتداد العين وجها
باهتا

لا صوت يأتي غير وقع خافت
لحن الزمان يطن في اذنيّ
أمضي نحوه في مركبي الخاوي
أأنت الوجه ؟
حلق طائرا كالنسر
قال انظر الى ظلي
فرأيت نفسي
والمدى قحل
وغم كالردى يجتاحني
هلا يغيب ؟
متى يغيب الوجه حتى ينتهي صمت جحيمي يحاور
لهفتي ؟

بيروت